"الكم اللحم و إلنا العظم"

" بديش أروح على المدرسة، بدي إمّي تعلّمني". جملة سمعتها صدفةً من أحد الطّلاب صغار السن. هذه الجملة جعلتني أتساءل: لماذا يكره طلابنا المدرسة من جيل صغير؟ ما دور الأهل بذلك؟ ما دورنا نحن المعلّمين؟ كيف نستطيع تجنيد الأهل لصالحنا لكي نغيّر هذه الصورة البشعة؟

لا شك أنّ أولادنا يكرهون المدرسة. قد يختلف معي البعض منكم ولكن أنا اتحدث بصورة عامة. لماذا يكره الطلّاب مدارسنا؟ هناك الكثير من الأسباب التي تجعل طلّابنا يكرهون المدرسة. سأحاول هنا أن أذكر بعض الأسباب لذلك.

1. التحصيل :

كل مدارسنا بدون استثناء، هي مدارس تحصيليّة، بمعنى أنها تضع التحصيل العلمي في المرتبة الأولى، هذا الأمر ليس ذنب مديري المدارس أو المعلّمين. هذا الأمر له عدة أسباب وعوامل، أولها الأوضاع السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة التي نعيشها في البلاد كأقليّة تحتّم علينا أن نمتاز وأن نتميّز في تعليمنا لكي نحصل على مناصب عُليا تنقذنا من الفقر أولًا، وترفع مستوانا الاجتماعي ثانيًا، وتعزّز مكانتنا في المجتمع. وما يعزّز هذا الأمر الأهل في المرتبة الأولى الذين يدفعون أولادهم إلى التميّز وإلى التحصيل العلمي ويشكّلون ضغطًا على أولادهم وعلى معلّميهم ومدارسهم. من أكبر الاشارات لهذا الضغط الحفلات التي تُقام للأبناء الناجحين في الامتحانات أو حتى غير الناجحين منعًا من الاحراج والشماتة من الجيران والأقارب.

ضغط آخر على المدارس يتم من قبل المسؤولين في الوزارة أو في البلديّة، حيث تتم عمليّة تقييم المدارس ومديري المدارس حسب انجازات طلّابهم في التوجيهي أو البجروت، ضاربين بعرض الحائط كل المعايير الأخرى، من بناء الشخصيّة والقيّم والمواطنة الصالحة وبناء الانسان، فالمدارس هي مصنع للعلامات لا غير.

هذه الأمور تضغط المعلّمين الذين بالتالي يضغطون الطلّاب حيث يجدون أنفسهم بين مطرقة الأهل وسندان المعلّمين ممّا يجعلهم يكرهون المدرسة ويحاولون التخلص منها بشتى الطرق والوسائل ويظهر ذلك في مظاهر العنف تجاه الطلّاب الآخرين وتجاه المعلّمين وفي كثير من الأحيان يعبّرون عن ذلك بعمليّات التخريب والتكسير بالممتلكات والكراسي والطاولات.

2. المواضيع التعليميّة المملّة:

معظم مواضيع التعليم هي المواضيع الاعتياديّة الكلاسيكيّة من لغة عربيّة وانجليزيّة ورياضيّات وغيرها من المواضيع التي لا علاقة لها بصورة مباشرة مع شخصيّة وأهواء الطالب. هذه المواضيع غالبًا ما تُصيب الطالب بالملل والضجر خلال الحصص ممّا يدفعه إلى الانشغال بالأمور الجانبيّة، وبالتالي بدراسة هذه المواد للامتحان فقط. يجب أن أشير هنا أنه من الملاحظ مؤخرًا أنه قد طرأ تغيير طفيف بواسطة ادخال مواضيع جديدة ولكنها للأسف بمنهاج البجروت فقط.

3. التربيّة اللامنهجيّة:

لقد حدث مؤخرًا تغيير جذري بكل ما يخصّ التربيّة اللامنهجيّة والفعاليّات الاجتماعيّة في المدارس. وممّا لا شكّ فيه أنّ الأبحاث تولي أهميّة كبيرة للفعاليّات والنشاطات اللامنهجيّة والتي تساهم بشكل كبير في تطوير شخصيّة الطالب وبنائها وتزيل الملل والضجر المتسبب من الدروس والمواضيع العاديّة.

4. البنية التحتيّة:

أن البنيّة التحتيّة لها أهميّة كبيرة جدًا في الشعور بالإنتماء للمؤسسات التعليميّة. من منّا لا يحب التواجد بالأماكن المحاطة بالحدائق والساحات والملاعب الخضراء !. إنّ الجوّ العام للمدرسة له أهميّة مصيريّة في تطوير شخصيّة الطالب، وهذا للأسف ما ينقصنا في مدارسنا إلا ما قلّ منها. فالكثير من المدارس تتواجد ببنايات مُستأجرة كانت مخصصة بالأساس للسكن وليس للتدريس والتعليم. هذه المباني لا تُناسب الطلّاب حيث أنهم يُعانون من الاكتظاظ والازدحام ناهيك عن عدم وجود الساحات والملاعب حيث يشعر الطالب أنه في سجن وينتظر بفارغ الصبر انتهاء فترة الدوام ليغادر المدرسة.

5. المعلّمون وطرق التعليم:

رغم الاستكمالات الكثيرة في طرق التعليم الحديثة ووسائل المساعدة وغيرها من التحديثات التكنولوجيّة، إلا أنّ المعلّمين ما زالوا يتمسكون بطرق التعليم القديمة الوجاهيّة وخاصة بالمراحل العُليا من التعليم حيث يقف المعلّم ويُملي على الطلّاب المادة بدون أي سؤال أو نقاش ممّا يسبب ويزيد من الملل وعدم الاهتمام لدى الطلّاب.

لطالما ادعيت أنّ المشكلة الأساسيّة في التعليم تعود على طواقم المعلّمين. أنا لست هنا بصدد لوم المعلّمين أو اتهامهم ولكن لا نُنكر أنّ الكثير من المعلّمين لا يحبون مهنة التعليم وأنهم توجهوا إليها لأنها المهنة الوحيدة تقريبًا المتوفرة أمام الخريجين ومن الجامعات. ها نحن نرى معلمًا جديدًا لم يمضِ على تعيينه 3 سنوات نرى أنه قد تآكل وأصبح غير مبالٍ لما يدور حوله من أمور. هذه الأمور تظهر بصورة جليّة بغياب المعلّمين حيث قلّ ما تجد مدرسة بدون 5-8 معلمين غائبين يوميًا وبدون سبب يُذكر.

أنا لن أخوض كثيرًا بالحلول، التي برأيي تتواجد بلبّ المشكلة والمسببات، ففي كل سبب نجد الحل الملائم لذلك مثلًا بالنسبة للبنية التحتيّة والمرافق فإن الحل هو تحسين البنية التحتيّة وهكذا الأمر بالنسبة لباقي المواضيع.

لكنني سأقوم هنا بالتركيز على قضيّة مهمّة وهي موضوع الأهل، والثقة بين الأهل والمعلّمين.

إنّ قضيّة الثقة بين الأهل والمعلّمين هي قضية مهمّة جدًا لانجاح العمليّة التربويّة التعليميّة والأهم بذلك هي مسألة التواصل مع الأبناء أي الطلّاب.

أنا لدي نظريّة راسخة بهذا الموضوع وهي: " اذا أحبك الطالب كمعلم فإنّ هذه المحبّة تنتقل للأهل، واذا كرهك الطالب فإنه ينقُل كراهيته وعدم احترامه للمعلم إلى أهله ".

لذلك فإننا نرى أنّ الطالب قد يكره المدرسة ولكنه قد يحب المعلم الفلاني والعكس هو الصحيح فقد يكره معلمًا ويحب المدرسة. وكثيرًا ما نرى أنّ الأهل يسمحون لمعلم معيّن بمعاقبة ابنهم بينما يرفضون أن يفعل ذلك معلم آخر.

ماذا يفكّر الأهل عن المعلّمين؟ كيف ينظرون اليهم؟ ماهي صورة المعلّمين بنظر الأهل؟

الكثير من الأهل يعتقدون أو يفكّرون عن المعلّمين ما يلي:

1. المعلّمون لا يستحقون الراتب الذي يتلقونه لأنهم لا يشتغلون.
2. المعلّمون لا يقومون بواجباتهم تجاه المدرسة وتجاه طلّابهم.
3. المعلّمون يتقاضون رواتب عالية بدون مبرر.
6. المعلّمون يتغيّبون كثيرًا وبدون سبب وليس لديهم ضمير.
4. المعلّمون يقضون وقتهم بالعطل والاجازات والأعياد معظم أيام السنة. واذا لم تكُن هناك عطلة فهناك اضراب.
5. المعلّمون عبارة عن مصاصي دماء وما يهمهم هو زيادة الرواتب وإن مصلحة الطالب هي آخر اهتماماتهم.
6. المعلّمون لا يلتزمون بعملهم وإنما يهتمون بمصالحهم الخاصة فهم لا يشكّلون قدوة للطلّاب ولا يقوموا بدورهم في تربية الأبناء.
7. معظم المعلّمين قد تم تعيينهم بالواسطة لأنهم مقرّبون من المسؤولين لذلك فلا أحد يحاسبهم أو يقوم بفصلهم.

طبعًا هناك الكثير من الادعاءات الأخرى ولكن هذه هي أهم النقاط.

كيف يمكننا أن نبني الثقة مع الأهل؟

إنّ مصطلح " الثقة " هو مصطلح مراوغ لا نشعر به الا في حالة فقدانه: " إنّ الثقة هي استعداد الأهل على وضع ابنائهم بيد المعلّمين من أجل تطوير مهاراتهم، رفاهيتهم وأمنهم، اقتناعًا منهم أنّ المعلم شخص مهيأ وموثوق به ولديه الاستعداد للقيام بذلك. كل شخص منّا بحاجة لثقة الناس الذين حوله، لكن المعلّمين بحاجة لهذه الثقة بصورة خاصة وذلك لكي يؤدوا واجبهم بإخلاص وأمانة. مثلًا المدير الذي لا يثق به طاقمه يجد صعوبة كبيرة في تطوير وتنفيذ سياسة المدرسة. وعليه فإن المعلّمين الذين لا يحظون بثقة الأهل عليهم تحمل المعاناة جرّاء مراقبة وانتقاد الأهل الدائم لهم.

لماذا الثقة مهمّة بين الأهل والمعلّمين؟

إنّ الثقة والعلاقة الجيدة بين الأهل والمعلّمين تساهم مساهمة كبيرة في تطوير الطالب في كل المجالات: التعليميّة، التربويّة، الاجتماعيّة والعاطفيّة. تأثير الثقة بين الأهل والمعلّمين على تطوّر ونمو الطلّاب نابع من المسؤوليّة المشتركة على الأبناء والطلّاب. ولكي ننجح في تحمل هذه المسؤوليّة فإننا نحتاج إلى الثقة.

كيف يمكن للثقة بين المعلّم والأهل أن تساعد على تطور ونمو الطلّاب؟

1. إنّ الثقة تُساعد على تطوير المعرفة حول الطالب وتُساعدنا بأن نتلاءم معه. إنّ الأهل والمعلّمين يعرفون الطالب بصورة مختلفة. إنّ الثقة المتبادلة تمكّن الأهل من معرفة ابنهم عن طريق المعلّم وأن يتعاملوا معه بصورة ملائمة، كما وتسمح للمعلّم أن يتعرف على الطالب عن طريق الأهل وأن يتواصل معه بطريقة أكثر نجاعة.

2. الثقة تزيد من التعاون. إنّ الثقة المتبادلة تقلّل من ظاهرة المراقبة والمتابعة الواحد للآخر وهكذا تساعد الطرفين على التعاون والعمل المشترك من أجل أهداف مشتركة. الأب الذي يثق بمعلّم ابنه سيوافق بسهولة على التعاون معه كما أنّ المعلّم الذي يثق بالأب فإنه سيسمع نصيحته حول الطالب.

هل تذكرون جملة " الكم اللحم وإلنا العظم " ؟ ماهذه الجملة الا كلمة واحدة : " الثقة ". كما أن معظمكم يتذكر ويراعي الطالب لأنه يعرف والده أو والدته، وكم منّا يتغاضى عن الطالب بسبب والده المتعاون مع المدرسة بينما يُهمل أو يعاقب الطالب الذي والده يصرخ ويشتم ولا يتعاون نهائيًا.

3. الثقة تؤدي إلى تقبّل الأهل للأمور الحديثة أو المتطورة، كما تؤدي إلى تشجيع المبادرات وابتكار طرق تعليميّة حديثة التي تهدف بنظر الأهل إلى أنها جزء من عمليّة التطوير والتحسين في العمليّة التربويّة.

كيف نبني الثقة بين الأهل والمعلّمين:

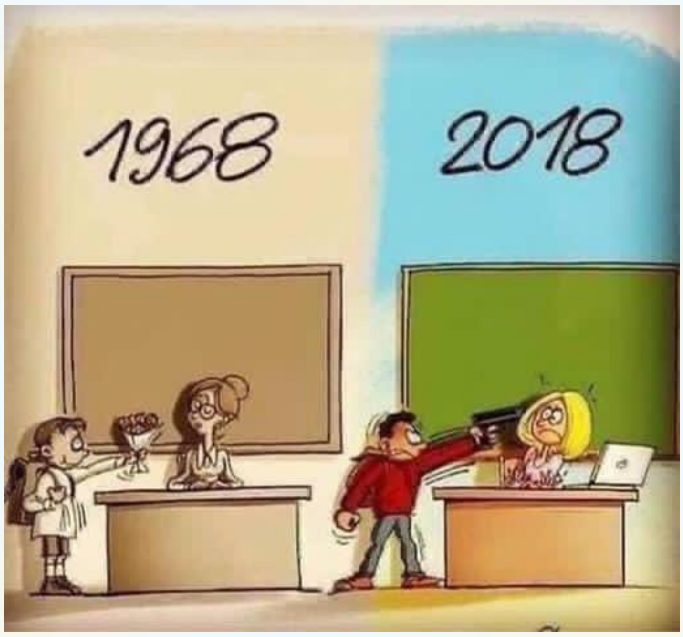

هناك أهل يعطون الثقة للمعلّمين لأنهم تربّوا على ذلك من صغرهم وهذا ما اعتادوا عليه من آباءهم في الماضي. فبالنسبة لهم المعلّم دائمًا على حق. هذه النوعيّة من الأهل آخذة "بالانقراض". بينما هناك أهل كما يبدو، مرّوا بتجارب صعبة بالماضي. هذه التجارب أدت بهم إلى عدم الثقة بالمعلّم أو حتى بالنظام التعليمي ككل. علينا أن نتذكر أنّ كل معلّم أو أب يأتي مع ميول شخصيّة للثقة أو أنه يرتدع من منح الثقة. بالرغم من ذلك إلّا أننا نستطيع أن نقوم بعدة

خطوات لبناء الثقة حتى لدى الأشخاص الذين يرتدعون من ذلك.

إنّ الثقة تزداد عندما يرى الأهل ويشعر أنّ معلّم ابنه لديه القدرة المهنيّة والدافعيّة لأن ينجح في وظيفته.

كيف يمكن أن يحدث هذا في العلاقة بين المعلّم والأهل؟

التجنّد من أجل هدف مشترك:

من المهم أنه في حالة الالتقاء مع الأهل، من المهم أن نوضّح لهم أنّ الهدف هو تحسين حالة وظروف الطالب وهذا هو هدف مشترك بين المعلّم والأهل. عندما يفهم الأهل أنّ هذا هو الهدف، من هنا نستطيع أن ننطلق إلى مواجهة الاختلافات، آخذين بالاعتبار اظهار الاحترام للأهل، لآرائهم ومواقفهم.

ملاءمة توقعات:

لكي ننمّي الثقة بين الأهل والمعلّمين ولكي نزيد التعاون بينهم، من المهم ان نتحدث مع الأهل وأن ننسّق وأن نوضّح مجالات المسؤوليّة الخاصة بالأهل والمعلّم تجاه الطالب مثلًا مسؤوليّة الأهل أن يأتي الطالب إلى المدرسة وأن يلتزم بالدوام، ومسؤوليّة المعلّم أن يقوم بتعليمه وزرع القيم عنده. كذلك من المهم أن يتفق الجانبان على المعلومات التي سيتبادلها الطرفان لمصلحة الطالب. من المهم أن تكون هذه المهمّات معروفة لدى الطرفين _المعلّم والأهل_ وأن تكون محدّدة وواضحة للطرفين وأن تتم الموافقة عليها من الطرفين. من المهم أن يتفق الجانبان حول المواضيع المسموح للأهل التدخل بها بكل ما يخص الطالب، والأمور التي تكون حصرية للمعلم ولا مجال للتدخل بها.

اظهار القدرة:

إنّ أساس ثقة الأهل بالمعلّمين هو اعطاء الأهل الشعور أنّ المعلّمين ماهرون من ناحية مهنيّة. ليس فقط أن يعلموا بذلك بل عليهم أن يروا ذلك على أرض الواقع.

كيف يفعل المعلّم ذلك؟ يستطيع المعلّم أن يخصص وقتًا للأهل وأن يوضّح لهم الاعتبارات التي تكمن وراء القرارات، وأن يُظهر معرفة بالطالب، مزاياه واحتياجاته الخاصة. هنا تحضرني حادثة حقيقيّة حين أتى أحد الآباء للسؤال عن ابنه فكان جواب المعلّم " هو منيح بس لازم يشد حاله أكثر " فكان جواب الأب : "يا استاذ ابني مُتغيب عن المدرسة منذ شهرين ولم يسأل عنه أحد ".

- **المتابعة والاحترام الشخصي:**

قد يبدو أنّ هذا الأمر بديهي لكن المتابعة واحترام الوعود، التصريحات، والأقوال من قبلكم هي من الأمور المهمّة لتوثيق وترسيخ الثقة. من المهم أن يعرف الأهل أنّ كلامك موثوق به وأنك تفي بوعودك بصورة دائمة رغم المصادمات والمعارضات.

يصعب علينا أن نعطي ثقتنا وأن نعتمد على شخص لا نتوقع تصرفاته أو لا يفي بوعوده بأوقات متقاربة.

- **اعتبروا كل لقاء بمثابة فرصة:**

علينا أن نتذكر أنّ بناء الثقة يتم من خلال التخالط بين الناس، والاختلاط والالتقاء مع الأهل هي فرصة لبناء الثقة أو كسر الثقة لذلك اذا اردتم أن تعملوا على بناء الثقة، فمن المهم لأن تعوا هذه الحقيقة.

أرجو لكم كل الخير.

أ.أيمن جبارة